ما لم يخطر لهم ببال مع امتحانهم له مراراً فيجدونه في خلوته نائماً غير مكترث بمطالعة ولا غيرها. قال البقاعي: حضرت درسه بالجامع الأزهر في فقه المالكية فظهر لي أنني ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه، وإن من لم يحضر درسه لم يحضر العلم ولا سمع كلام العرب ولا رأى الناس بل ولا خرج إلى الوجود. وقال ابن الهمام: هذا الرجل لا ينتفع بكلامه ولا ينبغي أن يحضر درسه إلَّا حذَّاق العلماء. وذكر البقاعي أن صاحب الترجمة هو الذي أرشده إلى ما وضعه في التفسير من المناسبات بين الآيات والسور، وأنه قال له الأمر الكلي المفيد بعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت إليه السورة وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما سيتبعه من إشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا فعلت ذلك تبين لك إن شاء اللَّه وجه النظم مفصلاً بين كل آية آية، وفي كل سورة سورة، واللَّه الهادي. انتهى. ومن مؤلفاته شرح جمل الخونجي، وله نظم فمنه: [من الكامل]

بَـرقُ الـفُـؤادِ بَـدا بـأفـقِ بِـعَـادنـا ... فَـتـضَـعْـضَـعَـتْ أَركـانُـنـا لِـرُعـودِهِ
كـيـفَ الـفـراقُ وقَـدْ تَـبَـدَدَ شَـمْـلُـنـا ... والـبـيـنُ شـقَّ قُـلـوبَـنـا بِـعَـمُـودِهِ
لـلَّـه أيـام مَـضَـتْ بِـسَـبـيـلـهـا ... والـدّهْـرُ يَـنـظـمُ شَـمْـلَـنَـا بِـعُـقـودِهِ

ثم لم يلبث أن رغب في السفر عن مصر، وتطوَّف البلاد وركب البحر، وتطوّر على أنحاء مختلفة، وهيآتٍ متنوعة إلى أن (مات) غريباً فريداً في عيناب سنة ٨٦٤ أربع وستين وثمانمائة في شوَّالها أو الذي بعده. وقد رام السخاوي رحمه اللَّه مناقضة البقَاعي فيما وصف به صاحب الترجمة؛ ولعلّ الحامل له على ذلك ما بينه وبين البقاعي من العداوة كما تقدم.

(٥٠٨)

(مُحمَّدُ بن مُحمَّد بن مُحمَّد ابن أحمد بن عَبْداللَّه بن مُحمَّد بن يَحْيَى)[1]

ابن مُحمَّد بن مُحمَّد بن أبي القَاسِم بن عبد اللَّه بن عبد العزيز بن سيّد الناس بن

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة: ٤/ ٢٠٨؛ فوات الوفيات: ٢/ ١٦٩؛ شذرات الذهب: ٦/ ١٠٨؛ =

أبي الوليد بن مُنذر بن عبد الجبَّار بن سُليمان أبو الفَتْح، فَتْح الدين اليَعْمُري الإمام الحافظ العلَّامة الأديب المعروف بابن سَيّد الناس. ولد في ذي القعدة سنة ٦٧١ إحدى وسبعين وستمائة، وهو من بيت رياسة بإشبيلية، وكان أبوه قد قدم الديار المصرية ومعه أمهات من الكتب كمصنف ابن أبي أشته ومسنده، ومصنف عبد الرزاق، والمحلي، والتمهيد، والاستيعاب، والاستذكار، وتاريخ ابن أبي خيثمة، ومسند البزّار. وأحضره أبوه في سنة مولده على النجيب فقبله وأجلسه على فخذه، وكناه أبا الفَتْح. ثم أحضره في الرابعة على شمس الدين المقدسي، وسمع على القطب القسطلاني، وابن الأنماطي. وأكثر عن أصحاب الكندي، وابن طبرزذ. ورحل إلى دمشق فسمع من الصّوري، وابن عَسَاكر وغيرهما. وأجاز له جمع جمٌّ من جهات مختلفة، ولازم ابن دَقيق العِيد، وتخرَّج به في أصول الفقه. قال الذهبي: ولعل مشيخته يقاربون الألف. ونسخ بخطه وانتقى، ولازم الشهادة مدة. وكان طيب الأخلاق بسَّاماً صاحب دعابة ولعب، صدوقاً حجَّةً فيما ينقله، له بصرٌ ناقد بالفن وخبرة بالرجال ومعرفة الاختلاف، ويدٌ طولى في علم اللسان، ومحاسنه جمَّةٌ، ولو أكبَّ على العلم كما ينبغي لَشُدَّت إليه الرحال. وقال البرزالي: كان أحد الأعيان إتقاناً وحفظاً للحديث وتفهماً في علله وأسانيده عالماً بصحيحه وسقيمه مُستحضراً للسيرة. له حظٌّ من العربية، حسن التصنيف، صحيح العقيدة، سريع القراءة، جميل الهيئة، كثير التواضع، طيب المجالسة، خفيف الروح، ظريف اللسان، له الشعر الرائق، والنثر الفائق. وكان محباً لطلبة الحديث، ولم يخلف في مجموعه مثله. وقال ابن فضل اللَّه: كان أحد أعلام الحفَّاظ، وإمام أهل البلاغة الواقفين بعكاظ، بحر مكثار وخبير في نقل الآثار. انتهى. وله تصانيف منها: (السيرة النبوية) المشهورة التي انتفع بها الناس من أهل عصره فمن بعدهم، وشرع بشرح الترمذي كتب منه مجلداً إلى أوائل الصلاة، وقفت عليه بخطه الحسن. ولعلّ تلك النسخة التي وقفت عليها هي المسودة فإنها كثيرة الضرب والتصحيح، وهو متمتع في جميع ما تكلم عليه من فنِّ الحديث وغيره، مع التزامه لإخراج الأحاديث التي يشير إليها الترمذي بقوله: وفي الباب عن فلان وفلان إلخ. ولما وقفت على الجزء الذي من شرح الترمذي الذي يلي هذا الجزء للزين العراقي بهرني ذلك ورأيته فوق ما شرحه صاحب الترجمة بدرجات. وله (بشرى الكئيب بذكر الحبيب) قصائد نبوية وشرحها في مجلد، وله (منح المدح والمقامات العلية في الكرامات الجلية). وولي التدريس بمدارس، وكان مُحبَّباً إلى الناس مقبولاً عندهم، يُعظّمه كل أحدٍ لا سيما أمراء مصر وأرباب رياستها؛ قال

= كشف الظنون: ٢٤٦، ١٧٨٦؛ إيضاح المكنون: ١/ ٤٥٣؛ معجم المؤلفين: ١١/ ٢٦٩؛ الأعلام: ٧/ ٣٤؛ تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٣/ ٧٤٨.

الصفدي: وأقمت عنده بالظاهرية قريباً من سنتين فكنت أراه يُصلي كلّ صلاة مرات كثيرة، فسألته عن ذلك فقال: خطر إلى أن أصلي كلَّ صلاة مرتين ففعلت، ثم ثلاثاً ففعلت، وسهل عليَّ، ثم أربعاً ففعلت. قال: وأشكُّ هل قال خمساً. انتهى. وهذا وإنْ كان فيه الاستكثار من الصلاة التي هي خير موضوع وأجمل مرفوع لكن الأولى أن يتعود التنفل بعد الفرائض على غير صفة الفريضة، فإن حديث النهي عن أن تصلي صلاة في يوم مرتين، ربما كان شاملاً لمثل صورة صلاة صاحب الترجمة. ولعله يجعله خاصاً بتكرير الفريضة بنية الافتراض. ومن نظمه: [من الوافر]

تَمنَّاها وما عَقَدَ التمائمْ وَشَابَ وحبُّها في القلبِ دَائمْ
وَطارَحَها الغرامَ بها فقالتْ عَلِمْتُ فقال ماذا فِعْلُ عَالمْ

ومن قصائده القصيدة التي مطلعها: [من الخفيف]

يا بديعَ الجمالِ سَل من جَمالكْ أنْ يوافي عُشّاقه مِنْ وِصَالكْ

ومنه من أبيات: [من السريع]

ظَبيٌ من التركِ هَضيمُ الحَشَا مُهفهفُ القدِّ رشيقُ القَوامْ[1]

وكان (موته) في شعبان سنة ٧٣٤ أربعٍ وثلاثين وسبعمائة.

(٥٠٩)

(مُحمَّدُ بن مُحمَّد بن مُحمَّد بن أحمد بن عَبْداللَّه بن نُور الدين بن مُفرِح بن بَدْر الدين بن عُثمان بن جَابر بن ثَعْلَب بن شدَّاد بن عَامِر)

القُرشي العامري المعروف بابن الغزّي[2]، الدمشقي العالم الكبير المُحقّق، صاحب التفسير الغريب، جعله نظماً في مائتي ألف بيت وزيادة. واختصره أيضاً نظماً وقدّمه إلى السلطان سُليمان بن سليم صاحب الرّوم، فقابله بالإجلال والقبول، وطلب علماء الروم وعرض عليهم ذلك التفسير، وقال: ما رأيكم؛ فقالوا: نجتمع ونبذل النصيحة فإن وجدنا فيه زيادة أو نقصاناً أو تبديلاً في القرآن العظيم في حروفه أو شكله رفعنا ذلك إليكم واستحق ما يقتضيه الشرع، وإن وجدناه على سنن الاستقامة استحقّ

(١) هضيم الحشا: لطيفه. مهفهف: ضامر، دقيق. قوام رشيق: حَسَنٌ لطيف.

(٢) ترجمته في: شذرات الذهب: ٨/ ٤٠٣؛ الأعلام: ٧/ ٥٩؛ كشف الظنون: ١٥٣، ٥٩٦؛ هدية العارفين: ٢/ ٢٨٥؛ إيضاح المكنون: ١/ ٥، ٣١٤؛ معجم المؤلفين: ١١/ ٢٧١؛ وفيه: توفي سنة ٩٨٤هـ.